الوحدة الرابعة: الفرق بين مجتمع المعرفة ومجتمع المعلومات

تمهيد:

في عصرنا الرقمي الراهن، كثيرًا ما نسمع مصطلح مجتمع المعرفة ومجتمع المعلومات اللذان يُستخدمان بالتبادل في الخطاب الإعلامي والسياسي وحتى الأكاديمي أحيانا، لكن من منظور سوسيولوجي ، هناك فروق جوهرية وبنيوية بينهما تمتد لتشمل طبيعة التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة. إن فهم هذه الفروق ليس مجرد تمرين أكاديمي نظري، بل هو ضرورة استراتيجية لفهم التحديات التي تواجه مجتمعاتنا العربية في مسارها نحو التنمية والحداثة.

1-التمييز المفاهيمي بين المعلومات والمعرفة من منظور سوسيولوجي

المعلومات هي بيانات تم معالجتها وتنظيمها بطريقة تجعلها تحمل معنى محددا ومفهوما، لكنها تظل في مستوى السطح المعرفي، فهي أشبه بالخام المعرفي القابل للتداول والنقل عبر الوسائط المختلفة دون أن تُحدث بالضرورة تحولاً في البنية الذهنية أو السلوكية للمتلقي.، فعندما نقول مثلاً أن "عدد سكان الجزائر يبلغ 48 مليون نسمة"، فهذه معلومة إحصائية واضحة يمكن نقلها وحفظها واسترجاعها دون أن تتطلب منا تأملاً أو معالجة معرفية.

تتميز المعلومات بعدة خصائص بنيوية مهمة نذكر منها:

- أولا، هي تتسم بالموضوعية النسبية، أي أنها قابلة للقياس والتحديد الكمي بطريقة محايدة نسبيًا.
- ثانيًا، تتميز المعلومات بقابليتها العالية للنقل والتداول، فيمكن نسخها وإرسالها عبر مختلف الوسائط الاتصالية دون أن تفقد محتواها الأساسي.
- ثالثًا، المعلومات تتسم بنوع من الاستقلالية عن السياق الاجتماعي والثقافي، بمعنى أنه يمكن فهمها واستيعابها بمعزل نسبي عن السياق الذي أُنتجت فيه.
- رابعًا، هي تتميز بالثبات النسبي، فالمعلومة لا تتغير بتغير المتلقي أو ظروف الاستقبال
- خامسا، التأثير الاجتماعي للمعلومات يبقى سطحيًا نسبيًا، فهي لا تُحدث بالضرورة تغييرًا في السلوك الفعلي أو في الممارسات الاجتماعية للأفراد والجماعات.

أما المعرفة، فهي شيء مختلف تماما عن المعلومات، فالمعرفة هي معلومات تم استيعابها ودمجها في البنية المعرفية للفرد أو الجماعة، مع اكتساب القدرة على تطبيقها وتحليلها واستخدامها في إنتاج معارف جديدة، وهي نتاج تفاعل اجتماعي معقد بين المعلومة والخبرة الحياتية والسياق الثقافي والممارسة الاجتماعية.، ونفس المثال السابق حول عدد سكان الجزائر عندما نستطيع فهم كيف يؤثر هذا التوزيع السكاني على السياسات التنموية، وكيف يمكن تصميم برامج تنموية فعالة تأخذ هذه الحقائق الديموغرافية بعين الاعتبار، وعندما نستطيع تحليل العلاقة بين النمو السكاني والتنمية الاقتصادية والضغط على الموارد، فنحن هنا أمام معرفة حقيقية تتجاوز مجرد استهلاك المعلومات.

ومن تختلف خصائص المعرفة عن خصائص المعلومات من خلال:

- المعرفة ذاتية وسياقية بامتياز، فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالفرد أو الجماعة وبسياقهم الاجتماعي والثقافي الخاص.
- المعرفة ديناميكية وليست ثابتة، فهي تتطور وتتغير باستمرار مع تراكم الخبرات وتجدد التجارب.
- المعرفة تفاعلية، بمعنى أنها تتطلب معالجة ذهنية نشطة وتفاعلاً اجتماعيًا مستمرًا.
- الأهم من ذلك، أن المعرفة قابلة للتطبيق والترجمة إلى ممارسات وسلوكيات فعلية في الواقع الاجتماعي.
- المعرفة تحمل بُعدًا إبداعيًا، فهي لا تكتفي بالاستهلاك السلبي بل تُمكّن صاحبها من إنتاج معارف جديدة والمساهمة في البناء المعرفي الجماعي.

2-مجتمع المعلومات - الخصائص والحدود والقيود الوظيفية

يعد مجتمع المعلومات نمطا لتنظيم اجتماعي واقتصادي وثقافي يعتمد بشكل أساسي على إنتاج المعلومات وتوزيعها واستهلاكها كمورد اقتصادي واجتماعي رئيسي، مع هيمنة تكنولوجيا المعلومات والاتصال على البنية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، و هذا النمط بدأ يتبلور في الدول الغربية المتقدمة منذ سبعينيات القرن العشرين، مع ظهور الحواسيب الشخصية وشبكات الاتصال الرقمية، وتسارع بشكل هائل مع انتشار الإنترنت في تسعينيات القرن الماضي، ليصل إلى ذروته في عصرنا الحالي مع الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي والبيانات الضخمة. ويتميز مجتمع المعلومات بعدة خصائص بنيوية تتمثل في:

- الانتشار الواسع والكثيف لتكنولوجيا المعلومات والاتصال في جميع مناحي الحياة الاجتماعية. فالإنترنت والهواتف الذكية أصبحت متاحة لشرائح واسعة من السكان. ورقمنة الخدمات الحكومية والخاصة أصبحت ظاهرة عامة، والوصول إلى المعلومات أصبح أسهل من أي وقت مضى في التاريخ البشري. يمكن لأي شخص اليوم، بضغطة زر على هاتفه، أن يصل إلى كم هائل من المعلومات كان يتطلب في الماضي زيارات لمكتبات متعددة وأيامًا من البحث.
- السرعة الفائقة لتدفق المعلومات عبر العالم. نحن نعيش في عصر الآنية، حيث يمكن نقل المعلومات من طرف العالم إلى الطرف الآخر في ثوانٍ معدودة. هذا التقليص الهائل للمسافات الزمنية والمكانية أعاد تشكيل مفاهيمنا عن الزمان والمكان والحضور. أصبح بإمكاننا متابعة الأحداث لحظة وقوعها، والتواصل الفوري مع أشخاص على بُعد آلاف الكيلومترات، والمشاركة في نقاشات عالمية دون مغادرة منازلنا.
- التوسع الكبير في قطاع الخدمات المعلوماتية وهيمنتها على الاقتصاد المعاصر. نشهد اليوم نمواً غير مسبوق في الاقتصاد الرقمي، وظهور مهن جديدة كلياً لم تكن موجودة قبل عقدين من الزمن، مثل مدراء البيانات والمحللين الرقميين ومطوري التطبيقات ومتخصصي الأمن السيبراني. كما نلاحظ هيمنة الشركات التقنية الكبرى مثل Google و Facebookو Amazon على الاقتصاد العالمي، بل وتفوقها على الشركات الصناعية التقليدية من حيث القيمة السوقية والتأثير الاجتماعي.
- الديموقراطية المعلوماتية الظاهرية. فالمعلومات لم تعد حكراً على النخب الأكاديمية أو المؤسسات الرسمية، بل أصبحت في متناول الجميع نظرياً. تعددت مصادر المعلومات بشكل هائل، وانخفضت تكاليف الحصول عليها إلى درجة جعلتها شبه مجانية في كثير من الأحيان. هذا الانفتاح المعلوماتي يحمل إمكانيات هائلة للتمكين المعرفي والمشاركة الديمقراطية.

3-القيمة المضافة للمعرفة مقارنة بالمعلومات في التحول المجتمعي

لفهم القيمة المضافة للمعرفة مقارنة بالمعلومات في التحول المجتمعي، لابد من التركيز على :

البعد	مجتمع المعلومات	مجتمع المعرفة	القيمة المضافة
الاقتصادي	تجارة المعلومات كسلعة •التركيز على الكم •الاستهلاك السلبي •القيمة محدودة ومؤقتة	البحث والتطوير •براءات الاختراع •الخدمات الاستشارية •الحلول المبتكرة •القيمة تراكمية ومتنامية	المعرفة لا تنقص بالاستخدام بل تزداد •نماذج أعمال قائمة على الابتكار •قيمة اقتصادية واجتماعية ملموسة
الاجتماعي	استهلاك سلبي للمحتوى •علاقة انفعالية وسطحية •التكرار والاجترار •رأس مال بشري = مستخدمو التكنولوجيا	إنتاج فاعل للمعرفة •علاقة تفاعلية ونقدية •الإبداع والابتكار اليومي •رأس مال بشري = منتجو المعرفة والمبدعون	•مجتمعات تعلّمية (Learning Communities) •ثقافة الابتكار والبحث العلمي •كل فرد معلم ومتعلم •التعلم كنمط حياة
الثقافي	استلاب ثقافي •هيمنة ثقافة الغرب	تمكين ثقافي •إنتاج ثقافي ذاتي	حماية الهوية الثقافية •انفتاح واعٍ على الآخر

	•تدفق أحادي الاتجاه •تنميط ثقافي •استهلاك غير نقدي	•تنوع وحوار ثقافي •مساهمة في الحوار العالمي •قراءة عميقة ونقدية	•صناعات ثقافية محلية ذات جودة عالمية •وعي نقدي تجاه الثقافة الوافدة
السياسي	ديمقراطية رقمية صورية •شعبوية رقمية •تلاعب بالرأي العام •أخبار مزيفة •مشاركة شكلية (إعجابات وتعليقات)	مواطنة فاعلة •مشاركة مبنية على المعرفة •حوار عقلاني •رقابة ذكية على السلطة •مجتمع مدني قوي ومطّلع	ديمقراطية تشاركية حقيقية •قرارات سياسية واعية ومدروسة •سياسات عامة قائمة على الأدلة •اختلاف محترم وبناء
التربوي	نموذج التلقين التقليدي •حفظ واسترجاع المعلومات •تقييم كمّي وسطحي •المعلم كسلطة معرفية •أجيال حافظة لا مفكرة	بناء معرفي نشط •التجريب والبحث والتحليل •تقييم نوعي للكفاءات •المعلم كميسّر ومرشد •أجيال مفكرة ومبدعة	مهارات القرن 21 (تفكير نقدي، إبداع، تعاون) •قدرة على التكيف والتعلم المستمر •التعلم مدى الحياة •بيئة تشجع الفضول والتجريب

4- نماذج الانتقال من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة

يُعَد الانتقال من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة عملية تحوُّل نوعي، حيث تتجاوز المجتمعات مجرد امتلاك المعلومات وتداولها إلى مرحلة إنتاجها، ومعالجتها، واستخدامها في تحقيق التنمية المستدامة والابتكار. يمكن تلخيص هذه النماذج الانتقالية في عدة جوانب، منها الاقتصادي والاجتماعي:

1. **النموذج الاقتصادي (من اقتصاد المعلومات إلى اقتصاد المعرفة)** يركز هذا النموذج على التحول الاقتصادي، حيث تصبح المعرفة هي المحرك الرئيسي للنمو بدلاً من الموارد المادية أو المعلومات الخام.

التحول من اقتصاد قائم على الإنتاج الكمّي إلى اقتصاد قائم على القيمة المضافة: في مجتمع المعلومات، كان التركيز على إنتاج كميات كبيرة من البيانات والمعلومات. أما في مجتمع المعرفة، فالتركيز هو على تحويل هذه البيانات إلى قيمة مضافة من خلال الابتكار والإبداع.

الاستثمار في رأس المال البشري: يُعتبر رأس المال البشري هو المحرك الأساسي لاقتصاد المعرفة. لذلك، تستثمر الدول في التعليم والتدريب وتنمية المهارات لتعزيز الإنتاجية والابتكار، مما يزيد من قدرتها التنافسية في الاقتصاد العالمي.

تشجيع الصناعات القائمة على المعرفة: يتم دعم قطاعات مثل التكنولوجيا الفائقة، والبحث العلمي، والخدمات الاستشارية، التي تعتمد على إنتاج المعرفة وتطبيقها.

2. **النموذج الاجتماعي (من مجتمع المستهلك إلى مجتمع المنتج)**: يتعلق هذا النموذج بالتحولات الاجتماعية والثقافية التي تزيد من مشاركة الأفراد في بناء المعرفة.

التركيز على التعليم المستمر والتعلم مدى الحياة: بدلاً من الاقتصار على التعليم الأكاديمي، تُقدّر مجتمعات المعرفة التعلم المستمر وتطوير المهارات بشكل دائم للتكيف مع التغيرات السريعة.

تعزيز ثقافة الإبداع والابتكار: تشجع هذه المجتمعات على التفكير النقدي والإبداع وتكوين الأفكار الجديدة، بدلاً من الاكتفاء بالاستهلاك السلبي للمعلومات.

المشاركة الفعّالة: تنتقل المجتمعات من مجرد استخدام أدوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى المشاركة الفعّالة في إنتاج المحتوى، وإيجاد الحلول للمشكلات، وتكوين شبكات المعرفة.